مقومات تحقيقها في الواقع · واذا كانت القومية الثقافية الالمانية بمثابة الامل المحرك لقومية حقيقية لا بد ان تنتصر وتحقق وحدتها في النهاية فان مفهوم الامة الروحية والاخلاقية والقومية الثقافية العبرية كان لا بد ان يحرف انظار البورجوازية الصغيرة اليهودية في ظروف التخبط والحيرة والبلبلة ليصرفها عن هدفها الحقيقي في الديموقراطية والحقوق المدنية والاندماج في شعوبها · كان لا بد ان يتحول الى عامل ردة ونكوص · وان يجرد المفهوم الالماني التقدمي في الاصل من مضمونة ليحوله الى مفهوم يوتوبي رومنسي رجعي في « القدس الجديدة » عند موسى هس وغيره ممن سار على دربه ·

الرومنسية الرجعية تركب موجة القومية في المانيا

كان لتحطيم الامبراطورية الالمانية القديمة على يد بونابرت والاطاحة بنظامها الاقطاعي ، اثر بعيد في انتعاش الافكار الثورية والتيار الليبرالي في المانيا ، خاصة بين المثقفين الالمان · ولكن هذا التيار اكتسب سمة وطنية وقومية بارزة نتيجة السيطرة والقهر البونابرتي ، تطلعا في نفس الوقت الى التحرير والتوحيد القومي المفتقد (١٤) ·

ولكننا نشهد ايضا مولد الاشتراكية مع الثورات البروليتارية الالمانية الاولى سنة ١٨٣٠ ، ومنذ ذلك التاريخ تتميز الحركة السياسية في صفوف المعارضة للنظام الاقطاعي القائم ، بتواجد الحركتين الليبرالية البورجوازية والاشتراكية جنبا الى جنب · ولكن كان هناك ميل واضح الى الانفصال والتباعد بينهما يزداد بالتدريج نتيجة نمو البروليتاريا وضعف البورجوازية النسبي · ومن هذا لم تأخذ الليبرالية الالمانية نفس الطابع الثوري الذي اخذته فرنسا في القرن الثامن عشر بل اتجهت البورجوازية الالمانية الى انتهاج سياسة وسط مثلها مثل البورجوازية الفرنسية بعد ثورات سنة ١٨٣٠ · سياسة تتسم بالمحافظة والجنوح الى صف الرجعية · ولكن هزيمة ثورة ١٨٤٨ هي التي وجهت ضربة قوية وقاصمة لحركة الليبرالية دفعت اقساما متزايدة من المثقفين الالمان الى اليأس ، وفقد الثقة في العقل ، والتشاؤم ·· وطغت الرومانسية الرجعية على الساحة كما اضفت الرجعية الالمانية على كل ما هو متخلف وبربري همجي في التراث الالماني ، صفات « القومية » · واصبحت السلفية ، واحياء التقاليد التيوتونية هي التعبير عن الروح الالمانية والاصالة الالمانية اما الديموقراطية البرلمانية المنتصرة في فرنسا وانجلترا وغيرها من بلدان الغرب ، فقد اعتبرت « لا المانية » « ومستوردة » تخون اصالة الامة وعبقريتها الخاصة » (١٥) ·

والحقيقة ان القوى المحافظة والرجعية منذ قيام الحلف المقدس وسياسة مترنيخ ، في خضم الحروب ضد الثورة ، كانت قد تعلمت درسا وعته جيدا ،